القصص

صور من هوميروس

٨ ـ حروب طروادة

من السماء . . .

للأستاذ دريني خشبة

قضى بروتسيلوس نحبه ، وعادت روحه الكريمة إلى هيدز مصطحبةً روح زوجته البارة ، وغرست عرائس الفنون فسائل الدردار فوق قبر الراحلين فنمت وترعرعت ، ونعم بفيئها الوارف ماء الهلسبنت (١) ورتعت في ظلها أترابه . . .

ولكن . . . !

لقد كانت روح بروتسيلوس الجذوة التي أججت نيران الحرب فجعلتها ضراماً ! ! فانه ما كاد يرمى بالسهام فيصمى ، فيسيل دمه أنهاراً ، حتى تدفقت جيوش الهيلانيين على الشاطىء الأسيوى ، غير مبالين بالموت الأحمر الذى كانت تمطرهم به سهام الطرواديين ، والمنية السوداء التى كانت تقطر من سيوفهم ، فتحصد صفوف الغازين حصداً . لا . لم يبال الهيلانيون بهذا الهول الأكبر ، بل انقضوا على الشاطىء شكاكاً فى سلاحهم ، مقنّعين فى دروعهم ، مرهفين سيوفهم ، تفيض عليهم عدة الحرب كأنهم جِنّة ترقص فى زوبعة ، أو ظلال من الذعر تجول فى معمعة

وتبعهم قادتهم العظماء فانطلقوا يبوئونهم مواقف للقتال ، ويلقون عليهم من كلمات الحماسة وخطب الاستبسال ، ما أضرموا به جوانحهم شوقاً إلى خوض الكريهة ، وحنيناً إلى اقتحام الوغى ، وصبوة إلى تقبيل الرقاق البيض

ودُقت الطبول فكانت إيذاناً بهجوم الهيلانيين

فانظر الآن إلى البحر يلتطم بالبحر ، والموج يساور الموج ، والموت يصاول الموت ، والحياة الحلوة تأخذ بتلابيب الحياة الحلوة ، وصيحات الهيلانيين تردها صيحات الطرواديين ؛ وليل الآخرة يغطش نهار الدنيا ، وظلام القبور يكشر لهذه الدور ، والفزع يمشى فى صفوف هؤلاء وهؤلاء ، واليتم يجرح هذا الكبد ، ويقرح ذلك القلب ، والحزن يفيض على هذا السهل ، ويجوب ذاك الوادى ، ويرف على قلل تلك الجبال ، وأنين الجرحى يطن فى فضاء الساحة الحمراء ، فيملأ الآذان بالهلع ، والنفوس بالجزع ، والدماء تتفجر هنا ، وتتحدّر هناك ، والرؤوس منتثرة فوق الأديم المضرّج ، زائغة أبصارها ، مفغورة أفواهها ، معفرة بالتراب أنوفها التى عزت على العالمين . . .

ثم انظر إلى أخيل يرعد بين الصفوف ويقصف ، ومن ورائه الميرميدون يوزعون المنايا ويهدهدون الحتوف ويقرّبون الآجال !

وأوليسيز الغوار وتلك العجاجة المنعقدة فوق رأسه من غُبار الحرب ، وهذه الصَّعدة السمراء بيمينه تنفث الموت فى صدور الأعداء !

وأجاكس وجنوده ؛ الكُرّار الفُرّار ، الذاويد الأحرار !

وبنليوس ؛ قائد العساكر البَوُوطية ، القروم البواسل ، والليوث الكواسر !

وديوميد ؛ نبعة أرومته ، وسيد عشيرته ، ووجه قومه ، وفارس كتيبته !

وأجابينور ؛ فتى أركاديا ، وملاك أمرها ، وشمس ضحاها !

وميجيز ؛ النَّجد الباسل ، والبطل الحلاحل !

وإيدومينيز ؛ ملك كريد وقائد جنودها ؛ أباة الذل ، وكُماة الوغى ، ومَرادى الحروب !

وتليبوليموس بن هرقل بطل المجازفات ، المقدام أخو

(١) هو بوغاز الدردنيل ، وبالقرب من مأخذه الجنوبى ، على شاطىء اسيا توجد طروادة

الثمرات ![1] ثم انظر إلى الصيد الصناديد من أبناء طروادة ، وجيرانهم الكماة الأباة الحماة !

هاك هكتور العظيم بن بريام الملك ، عضد طروادة وسندها وليث عرينها ؛ الثبت الصابر المصابر ؛ رابط الجأش شديد البطش ؛ قوى الشكيمة الفارس المقدام !

هاك هكتور الأسد ، يرغى فى أسود الشرى ويزبد ، ويوقل فى بطاح طروادة وينجد !

وهاك إينياس الهائل ، يقود (الدَّردان) الأبطال إلى كرائم الفعال فى ساحة القتال !

وهاك بنداروس ! تلميذ أبوللو وربيبه ، يقود فرسانه الفحول ورجاله البهاليل !

وهاهما ولدا ميروبس الكبير ملك أبيسوس ، يصولان فى الحومة ويجولان !

وهاك آسيوس بن ملك أبيدوس ، يتقدم رعيل فرسانه ، ويداعب أعداءه بِحُرَّانه !

وهاهم أشبال ترافية ، يقودهم بوفيموس المقدام ، ويقتحم بهم أيما اقتحام !

وهاهم نسور أميدون البواشق ؛ أقبلوا من هناك . . . من جنات سيحون وجيحون ليخوضوا الجحيم ، فى ذلك اليوم العظيم ، وليذودوا عن طروادة ، حليفتهم ؛ ويدفعوا . . . !

وهاهم أمراء ميديا ، أقبلوا فى عدة وعديد ، وكل جبار مريد !

أنظر إذن إلى الجيشين فى مد وجزر ، تبسم لأحدهما الآمال ، وتعبس للآخر المنايا ؛ ثم تدور الدائرة ، فيقلد المنهزم ، ويتأخر المتقدم ، وهكذا دواليك

وتغيب الشمس وتشرق . . . . .

ويبزغ القمر . . . ويغرب

وتكر الأيام ، وتمر السنون !

وكلما لاحت للطرواديين غفلة من أعدائهم خرجوا إليهم وهم ألوف فنالوا منهم ، حتى إذا كرُّوا عليهم عادوا إلى معاقلهم فلاذوا بحصونها ، واعتصموا بأبراجها ، وتلبثوا هناك حتى تتاح لهم فرصة أخرى

***

أعوام تسعة ! !

مليئة بالتعب ، مشحونة بالنصب ، مفعمة بالخطوب والأهوال

وكان الميلانيون يرسلون البعوث والسرايا ، فتجوب الريف وتؤوب بالغنائم والفيء ، والأسلاب والسَّبي ، فيقتسمها القادة ، ويفيضون منها على الجند

وهاجموا مرة إحدى القرى ، فكان من جملة السبي فتاتان ذواتا رقة وفتون . أما إحداها فكانت من نصيب أجاممنون ، واسمها خريسيز ، وهى ابنة كاهن القرية الورع ، حبيب أبوللو وخليله وصفيه ، القديس خريسز . وكانت فتاة لعوبا حلوة الدل رشيقة الروح ، وكان أبوها يحبها حباً جماً لا تعدل بعضه كل مباهج الحياة ! !

أما الأخرى فقد خلصت لأخيل وأخلصت له الود ، وساقاها هو المحبة ، فكان أحدهما للآخر فى هذه المحنة القاسية الصدر الحنون ، والقلب النجىّ ، والملاذ الأمين . اسمها بريسيز ، وأبوها شريف من أشراف هذه الناحية التى نكبت بتلك الحرب الضروس ، فَصَلِيَتْ لظاها ، وطحنتها رحاها

وعلم كاهن القرية بما كان من أمر ابنته ، فازدحمت على قلبه هموم الحياة ، وأحس فى أعماقه بثقل البلية ، وشعر كأنه جُرِّد من كل شيء حتى من نفسه

وبدا له أن يذهب إلى قائد الجند الميلانى فيفتدى خريسيز ، ولو نزل لأجاممنون عن كل ما علك . وحذره صحبه من المخاطرة بنفسه فى هذا الطريق الشائك ، ولكنه لم يرعهم التفاتة واحدة ، بل دهن نفسه بالطيب الكهنوتى المقدس ، ولبس مُسُوحه ، وعقد زناره ، وتناول مِسْبَحةَ أبوللو العظيم ، ثم توكأ على عصاه المتيدة ، وذهب يتهالك على نفسه ، ويتعثر فى خطاه ، حتى كان تلقاء المعسكر الضخم

وسأل عن خيمة القائد العام ، فقيل له إنها هى الفسطاط الأكبر الذى تبدو قبته هناك .... هناك عند شاطئ الهلسبنت ، بين الجيش وبين الأسطول

وانطلق الكاهن الجليل والدمع ينحدر من قلبه قطرات من الدم ... عن طريق عينيه ، فيعلق بلحيته البيضاء ، فيصبغها بأرجوانه ، كأنه آية السماء الباكية ، نذيرا لهذه القلوب القاسية ، والنزاة الأقوياء ! !

(١) ذكر هوميروس رؤساء العشائر اليونانية التى اشتركت فى هذه الحرب فى الكتاب الثانى من الالياذة ونحن نكتفى بذكر من أوردنا

وبلغ الفسطاط بعد لأى ...

واستأذن على القائد العام فلم يؤذن له . . . . فاستأذن ثانيةً فهُـدد بالضرب والعقوبة ! . . . ولـكنه أب مفئود ، وحزين منكود ، فتصبّر قليلاً واستأذن فى أدب ولين واستكانة ، فأذن له . . . .

ووقف أمام القائد الأكبر واهىَ الجسم موهونَ القلب ، محزوناً متصدعاً ، وحاول الـكلام فكانت العبرات تخنقه ، والأسى يعقد لسانه ، والنار المندلعة فى رأسه تنسيه كل شىء

وثار به أجاممنون !

لأنه على ما يبدو فوّت عليه لذةً طارئة ، وسكرةً موانية ، بمجيئه فى تلك اللحظة الهانئة القريرة ، وإلحافه الشديد بضرورة لقاء القائد . . . .

واحتشد القادة ورؤساء الجند حول فسطاط القائد ، وسمعوا إلى الـكاهن الـكبير يقول :

« مولاى !

سعيت اليك عائذاً بك ، داعياً أبوللو العظيم لك ، أن يفىء عليكم من النصر والفتح المبين ، وأن يهبكم من الرعاية واللين ما تشتهى أنفسكم ، وتقر به أعينكم ، وما ترتفعون به عن ظلم الضعفاء ، والجور على الملهوفين ، فقد يغنى القليل الذى ترضى عنه الآلهة ، عن الـكثير الذى يثير سخطها ، ويستنزل غضبها . .

إبنتى يا مولاى !

خريسيز العزيزة ! ردها علىّ يباركْ لك أبوللو ، ويُنِرْ لك سبيلك ، ببركة دعوات قديسه الحزين الواقف أمامك ، المبتهل اليك ، المستعد لأن يفتديها بكل ما علك ، وبكل ما يقدر عليه مما يرضى الملك ! »

لـكن الملك أشاح بوجهه ، وكبر عليه أن يجرؤ هذا الـكاهن على التفوه بهذه الطلبة العزيزة أمامه ! خريسيز ! أينزل أجاممنون عن خريسيز وقد احتلت من قلبه مكانة زوجه كليتمنسترا ؟! واستحوذت على لبه حتى نسى الحرب ، وعزف عن الطعن والضرب ، واستقر معها فى فسطاطه آخذين فى لهوٍ وحب ، وغناءٍ وشرب ! !

أينزل أجاممنون عن خريسيز الجميلة الفاتنة ، ولو استحالت عينا الـكاهن بئرين تنزفان الدمع ، وتفيضان بالدم ؟

كلا ! لن ينزل أجاممنون عن خريسيز !

« إصغ يا رجل ! ليس بى أن تـكون قديس أبوللو ، وحامل صولجانه ، وحامى مسبحته ، وعاقد زنّاره !

ستعود خريسيز معى ... إلى آرجوس ... وسيذوى جمالها هناك ، وتذبل محاسنها بين ذراعى ، وسأ كل إليها منزلى تخدم فيه ، وتصير أم بنين ، وسيكون بها قصرى جنة خلد ونعياً لا يفنى ... اذهب ، فاسفح دموعك فى صومعة أبوللو ، وصعّد زفراتك فى هيكله ، وبين يدى صنمه . . . اذهب ، وانج بنفسك من عذاب أليم . . .

خريسيز تعود معك ؟!

إنك تثير النقمة فى نفسى ، فانج بنفسك . . . انج . . . »

وتصدّع صدر الرجل ، وكاد قلبه يقف ، فتقف أنفاسه !!

وانثنى والدنيا المظلمة تحجب ناظريه ، وكلمات القائد الظالم تردَّدُ فى مسمعيه ، فما كاد يبلغ قريته حتى خلا إلى أبوللو ، وجلس يبكى ... ويصلى !!

« أبوللو ! !

يا إلـهى !! أسمعت ؟ لقد استهزأ بك أجاممنون ، وفجعنى فى بنتى ، وفلذة كبدى ، وقطعة قلبى ، وحياة روحى ! !

أبوللو ! !

هل سمعت يا رب النور ! ؟ أرأيت إلى ذلك العـاتى المتجبر كيف ثار بقديسك الضعيف المسن الذى أحنت ظهره السنون فى عبادتك ، والصلاة لك ، والتسبيح من أجلك ، والهتاف باسمك . ! ؟

ألا فلتنتقم لعبـدك يا أبوللو العظيم ، وليحل على الطغاة غضبك ، ولتُسْحِـتْهم بعذاب واصب ، ليس له من قدرتك من دافع . . .

أبوللو . . . !

استجب يا رب الهيكل الخالد ، وحامى العبد الأمين !!.. »

وسـقط الـكاهن أمام المذبح ينتحب ، والشموع الموقدة تذرى دموعها معه !

فثار فى عليائه أبوللو . . . !

* * *

انتفض الآلـه العظيم انتفاضةً رجف من هولها الأولمب ، ورف فى السماء كأنه سحابة مظلمــة فى ليل بهيم ؛ وفوق كاهله

الكبير قوسه الفضية الرنان ، وعلى ظهره كنانته الواسعة الشاسعة ، يُسمع لسهامها صليل أي صليل ... وأشرف من سمائه الضطربة على سفائن الأسطول المطمئن ، وما هو إلا أن تميزها حتى عبس وبسر ، ووتّر قوسه فانهمرت منها سهام كالمطر ، سبّها على السفن حاملات الخيل والبغال أولاً ، ثم لوى فأصلى سفائن الجنود وابلاً منها بعد ذلك ... فلا تسمع إلا أنيناً وبكاءً ، ولا ترى إلا صرعى يضجون ويُعولون ، ولا تحس إلا زفير جهنم وشهيقها يأخذ القوم من هنا وهنا فيقعون إلى أذقانهم سجداً وبُكيّا ...

أمطر يا طاعون ...

ولا حنانيك يا أبوللو ...

* * *

ولستمر هذا البلاء تسعة أيام طوال كأنها دهر بأكمله ...

وفي اليوم العاشر أوحيَ إلى أخيل أن يدعو مجلس الجيش ليرى رأيه في هذه النكبة التي دهتهم بها ميازيب السماء . فلما التأم شمل القادة ، اجتمع الرأي على أن يذهب كالخاس فيستوحي أربابه لتكشف هذه الغمة ، أو ليرى بماذا ترضى من التضحيات والقرابين !

وعاد كالخاس ، كعادته كلما حمل أخبار الشؤم من لدن أربابه كاسف الوجه ، كالح الجبين ، يحبس في صدره شجون الأرض ، وهموم السماء ! !

« خريسيز يا سادة ! »

« خريسيز تعود إلى أبيها القديس ، وإلا فتلك مقابركم جميعاً فوق هـــذا الشاطئ المظلم ، المضرج بدمائكم ، ودماء أعدائكم ... ! »

« هكذا تنفق كلمة الآلهة من أجل أبوللو ... فويلٌ لنا جميعاً إن لم نهدئ ثورة صاحب القوس ، ورب النور ، وسيد الشمس . ! »

« اسجدوا لأبوللو ، واخشعوا ... »

ونهض القوم من صلاتهم مشدوهين لا يحيرون ، ينظر بعضهم إلى بعض ، ولا تنفرج شفة بكلمة ، ولا يتحرك لسان بقول !

ولكن أخيل شعر في صميمه أن القدر يُسخّره هذه المرة أيضاً لتفريج الأزمة ، وكشف البلاء ، فنهض غير هياب ، وأرسل قولة الحق في غير وجل ، وصرّح بضرورة إرسال خريسيز إلى والدها القديس معززة مكرمة ، ثم تقديم القرابين من لحم العجول وشحم الأوعال إلى معبد أبوللو ، وإطعام الحاضر من شوائها والباد

وزلزلت الأرض زلزالها ، وهوت السماء فوق رأس أجاممنون!

ونشبت ملحمة هائلة بينه وبين أخيل ، أوشك البطل أن يغمد سيفه من جرائها في صدر القائد العام ، الذي طلب بكل صفاقة أن ينزل له أخيل عن غادته بريسيز : « إذا كان لابد من نزول عن خريسيز ليسلم الجند من هذا الوباء !! وليسكن غضب أبوللو ، وترضى السماء ! »

وتأججت نيران العداوة بينهما ، ذاك يحرص على فتاته الهيفاء وذاك يحض على إنقاذ الجنود بتضحية الذات وإنكارها في سبيل ما هو أسمى وأرفع ، ولكن أجاممنون عمي عن هذا المثل العالي ، فتشبث وأصر إلا ما نزل له أخيل عن بريسيز ، لينزل هو عن خريسيز . ! !

وهنا تتنزل الآلهة لتحكم بين الخصمين !

تبدو مينرفا ، ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، رسولاً من لدن حيرا ، سيدة ربات الأولمب ، للبطل أخيل ، بحيث لا يراها غيره ، فتعظه أن يضحي بفتاته ، ما دام هذا الفظ يتأبى إلا أن يكون ذلك ...

ويصدع أخيل بأمر السماء ...

ويذهب أوليسيز بابنة القديس إلى أبيها حيث يلقاه في معبده يبكي ... ويصلي ! فيبشره بها ، ويسأله الصفح والمغفرة فيهش الكاهن ويبش ، وتنهمر من عينيه دموع الفرح

وتقدم القرابين باسم الجيش الهيلاني إلى معبد أبوللو

فينكشف البلاء ..... وترضى السماء ... ويُدفن الهيلانيون موتاهم !

أما أخيل ...

فينقطع عن المعركة ، وينعزل في معسكره ، لا يشترك في الحرب ، ولا يشترك فيها جنوده الميرميدون !

وتحس أمه بما يلم به من الحزن ، فتزوره ، وتعده خيراً على يد الإله الأكبر ، زيوس ، سيد أرباب الأولمب !

(لها بقية)

دريني خشبة

من الأدب الأمريكي :

قيصر

للقصصي الأمريكي بول بورك Paul Burcke

تألق نجم مؤلف هذه القصة في العام المنصرم إذ تفوق بقصته « أخلاق » على جميع القصصيين الأمريكيين وأحرز من أجلها « جائزة أمريكا الأدبية لعام ١٩٣٤ »

بدأت المسألة بمعطف مطر . . .

وإذ خرج « قيصر سمث » في مساء يوم من أيام السبت المعهودة من جمعية رماية القرص التي يترأسها وسار على قدميه برغم المطر المدرار شاقا طريقه إلى منزله ، رأى في تسياره الآنسة « شيلا » منزوية في مدخل لاحد المنازل غير حاملة مظلة ولا متدثرة بمعطف ، وكانت تعمل جهدها للمحافظة على ثوبها الجديد من الماء الذي يتدفق منحدراً من سطح المنزل ...

وإلى اليوم لم يدرك قيصر ، وهو الرجل الخجول ، كيف تسنى له أن يبدأ بحديث مع سيدة غريبة عنه ، ولكن لعل فوزه في رماية القرص عصر ذلك اليوم أحيا فيه النشوة . والخلاصة أنه خلع معطفه وقدمه إلى تلك الآنسة ، وارتبك في القول

— « أنت هنا عرضة للتبلل بالماء ... ارتدى هذا المعطف »

ودهشت الآنسة من قوله ونظرت إليه في عجب وقالت :

— « ولكن كيف لي أن أقبل منك ذلك ؟ ... وأنت ؟ »

ولحظ قيصر أن لها عيوناً ناعسة ساحرة ، ولم يكن تبينها من قبل وقال لها :

— « لم يبق لي أن أسير طويلاً ، فنهاية سيري عند منعطف الشارع »

وكان ذلك منه اختلاقا ، وترددت الآنسة بادئ ذي بدء ، وكان من الواضح أن حرصها على ثوبها الجديد جعلها تتقبل في النهاية تلك التضحية . وأجابت

— « حقاً إن ذلك لعطف منك عظيم . لقد انهالت الأمطار فجأة ويلوح لي أنها لن تحتبس قريباً . إنني مدينة لك بالشكر »

فأجابها قيصر وفي نبرات صوته شجاعة الكرام

— « إنه أمر لا يستحق أن ينوه به »

وكان قد اعتزم المسير ، فسألته الآنسة :

— « ولكن إلى أي مكان أرده ؟ »

فقال : « اسمي قيصر سمث »

وسرعان ما حدقت فيه الآنسة وقالت :

— « ما أروعه اسما ! قيصر ؟ »

وأجاب في تواضع القنوع : « أي ، ولماذا ؟ »

ثم فاه بكلام كبير المغزى إذ قال :

— « لا تكلفي نفسك مشقة ارجاع المعطف »

ثم سكت برهة وقال :

— « سأحضر بنفسي لآخذه »

فترددت الآنسة لحظة ثم قالت :

— « حسناً . إني أدعى شيلا هيرست وأسكن في شارع مونرو رقم ١١٤ »

وأسرع في ارتشاف ابتسامتها العذبة واستمر يتابعها بنظراته حتى أدركه جارف من الماء انساق اليه من حافة قبعته ، فذكره بأن الوقت قد حان ليرجع الى المنزل

وفي المساء التالي ذهب ليسترجع معطفه ؛ فتعرف الى المستر هيرست وزوجته ، وقد استبقياه لتناول الشاي . وفي خلال ذلك تعرف الى « المستر راند » الذي كانت له حظوة عند كل فرد من عائلة هيرست . وتراءى لقيصر أن تلك الحظوة وذلك العطف فيهما الكثير من المبالغة التي لا مبرر لها . وكان للمستر راند سيارة اتفق المجتمعون على أن يستقلوها الى الشاطئ . وهنالك لم يجد قيصر من يتحدث اليه غير المستر هيرست ، إذ أن راند كان يسير في صحبة « شيلا » على بضع خطوات خلفهما . ثم دعوا قيصر إلى العشاء في ذلك اليوم ، وفي خلاله اختصته شيلا بابتسامة عذبة

وانتهى الأمر بقيصر إلى هذا الحد . ومنذ ذلك اليوم وهو يحمل وجهاً عبوساً ، وما ذلك إلا لتأكده من أن مشاعره تحمل الحب لشيلا ، ولكن أي أمل له – وهو الموظف البسيط ذو الأجر الضئيل – في آنسة يبتغيها لنفسه رجل مثل « راند » الثرى . وبالمال الوفير تستهوى كل آنسة ؛ ثم ماذا يقدمه لها

عوضاً عن المال ؟ أيقدم اسمه العظيم الذى لم يحسن حتى اليوم صيانته ؟ أم يقدم لقبه كرئيس لجمعية رماية القرص ؟ لا شك أن هذا وذاك لا يغرى ، وليس ثمة من فائدة ترتجى . أما لو كنت رئيساً أو وكيلا لرئيس أو على الأقل سكرتيرا لاحدى المؤسسات الكبرى ، وكان لدى ما فيه الكفاية من المال لما توانيت عن نقش اسمى ووظيفتى على قبعتى ، ولأمكنني إذن أن أفصح عما يخالج نفسى ، ولعرفت كيف أرفع من شأن اسمى . ولكن أى حال عليها أنا الآن ؟ قيصر ! ! لا شك أنه هزؤ وسخرية ، وما دمت موظفاً بسيطاً فى « محل دولتل وشركاه » فلست قيصرا بل مجرد « أنت يا سمث » أو « أى ، أنت الذى هنالك . . . » ذلك إذا ما أريد منى شىء

وانطوى قيصر على أفكاره ، ثم تذكر موعده فسار إلى منزل شيلا ، ولاحت له من بعد سيارة « راند » مستقرة أمام المنزل . والأولى أن نتناضى عما تم به ساعة أن رآها

وسألها « راند » أثناء تناول الطعام :

ـ إذن فستحضرين يوم السبت إلى ملعب كرة القدم ، حيث تشاهديننى فى الحفلة التى تقام ضد فرقة الأبطال الأقدمين »

وأجابت شيلا : « نعم »

ونظرت إلى قيصر وقالت :

ـ « ولعلك تحضر أنت أيضاً ! »

وهز هذا رأسه وقال :

ـ « إننى آسف ، إذ أنى سأشترك فى اللعب »

وسأله « راند » : « أى شىء ، كرة القدم ؟ » ثم نظر إلى قيصر متعجباً من ضآلة جسمه وحقارة مظهره الذى لا ينم عن بطولة

واحمر وجه قيصر خجلا وقال :

— « كلا ، بل رماية القرص »

فقال « راند » هازئاً :

— « أى ، إنكم ترمون بذلك الطبق الصغير هنا وهنالك ، أليس كذلك ؟ لقد فعلت هذا يوم أن كنت صبياً . أما الآن فانى أجدها لعبة مملة »

وأجاب قيصر لفوره :

— « وكذا شأنى وكرة القدم . لقد كنت أبحث دائما عن لعبة تتجلى فيها المهارة . ولا شك أن قرصاً يرى ليصيب هدفاً أدعى للمهارة والدقة من كرة تدفع بالأرجل لتتقدم فى السير »

وتدخلت شيلا فى ذلك الحديث الذى أخذ يشتد وقالت :

— « ألم نذكر شيئاً عن النزهة بالسيارة ؟ »

وتحمس « راند » وقال :

— « بلى ، دعينا نذهب إلى الشاطئ »

والتفتت شيلا لقيصر وقالت له :

— « وستكون بالطبع معنا »

وما إن وصلوا إلى الشاطئ حتى نزل ثلاثتهم من السيارة ، وأخذوا يتريضون فى طريق البحر ، وقد خلا من الناس أو كاد ، ولم يبق إلا بضعة أفراد متفرقين يستمتعون بالاستحمام فى البحر وأرادت شيلا أن تطرق حديثاً لا يجر إلى المشادة ، فسألت :

— « هل يمكنك السباحة ؟ »

ولم يعرف كلاهما لمن وجه السؤال ، إلا أن قيصر بادر بالاجابة فقال :

— « قليلا ، إذ لم أتدرب عليها التدريب الكافى »

ثم قال « راند » :

— « وكذلك حالى ، إن لعب كرة القدم يستولى على كل وقتى ، ولهذا كانت معرفتى بالسباحة ليست عظيمة للغاية »

وسألته شيلا ثانية :

— « وماذا أنت فاعل إذا رأيت رجلا يغرق ؟ وليكن على سبيل المثل ذلك الرجل » وأشارت بأصبعها إلى رجل يسبح على بعد غير كبير من الشاطئ

وأجاب « راند » فى لهجة الواثق من نفسه :

— « بالطبع أقذف نفسى فى الماء وأعود به إلى الشاطئ »

ونظرت شيلا إلى قيصر وقالت له :

— « وهذا ما أنت فاعله أيضاً ، أليس كذلك ؟ »

وتردد قيصر فى الجواب ورنا ببصره إلى ما وراءه فوجد قائمة فى مدخل البحر معلقاً بها « حزام النجاة » مشدوداً بحبل إلى القائمة . فقال :

— « كلا ، إنى لا أقذف بنفسى فى اليم إذ أنى لا أجيد السباحة ، ولا يمكننى أن أسدى للغريق نفعاً »

وصاح راند بصاحبه : « أى جبان ! » ضمنها شيئاً من السخرية

وحدقت شيلا فى قيصر ، الرجل الذى يحمل اسماً كثير الوعود والآمال . وسألته مرة أخرى :

ـ « إذن تتركه يغرق ؟ »

فأجاب قيصر : « كلا ! »

وقبل أن يتم حديثه أخذ السابح — وقد كان على وشك النسيان منهم — فى أن يثير المسألة بنفسه . وكانت مفاجأة عجلى ساعة أن رفع السابح ذراعيه فى الهواء وصرخ مستنيثاً . فنزع رائد معطفه . ثم تردد وقال فى نفسه : هل من الانصاف أن أضحى بحياتى ؟ ولا شك أنه رأى فى هذه اللحظة الماء فى تلك البقعة أعمق منه فى المحيط ، ثم هو أصقع من ثلج القطب .

وحثته شيلا ، وقد بدأ القلق ينتابها :

ـ « أسرع ! ! انه يشرف على الغرق »

وصاح الرجل من الماء فى صوت يكاد يختنق :

ـ النجدة ، النجدة ! !

وصاحت شيلا مرة أخرى :

ـ « أسرع ، أسرع وإلا ذهبت أنا بنفسى اليه »

وقال لها قيصر بينما كان منافسه يتباطأ بشكل مزر ليخلع حذاءه :

ـ « قفى مكانك ! »

ثم انتزع « حزام النجاة » واتخذ موقفاً كالذى اعتاد أن يقفه فى عصر كل يوم سبت لرماية القرص . ثم رمى رميته فتطاير الحزام مع الهواء ورسم فى الفضاء قوساً عالياً ، ثم انبطح دفعة على الماء . وقد كاد يسقط على رأس المشرف على الغرق

وقال قيصر وقد تملكته السكينة والثقة بالنفس :

ـ « مصيب ! . . . يُقدّر بنقطتين . . »

وكانت شيلا ترقب رميته وتتابعها بنظرات وجلة . فلما أن اقتاد الذى نجا وجيء به الى الشاطئ وأفرغ زفيره وتأوهاته ، سأل عمن رمى اليه بحزام النجاة ، فأشارت شيلا الى قيصر وقد تملكها الفخار

وحدق الرجل الذى نجا من الغرق فى قيصر وقال له :

ـ « ظننت حقاً أن حياتى قد انقضت ، إذ أصبت بتصلب فى الشرايين فجأة . . . لقد كانت رمية متقنة »

وأفصحت شيلا عن قيصر بقولها :

انه رئيس جمعية رماية القرص

وقال الرجل وقد أدرك سر الأمر :

ـ « آه ، لهذا كانت تلك الرماية محكمة . والآن اسمح لى أن أقول لك إنك أستاذ ماهر . ولو أنك لم تكن هنا لكنتُ الآن فى ناحية ما من قاع البحر . . . انني أود من صميم فؤادى أن أقدم لك خدمة بأى حال ، فعرفنى ماذا تريد »

وما فرغ من كلامه حتى أخذ ينظر الى قيصر من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، ثم سأله :

ـ أين تعمل ؟

فأجاب قيصر :

ـ « فى محل دولتل وشركائه »

ـ « واسمك ؟ »

ـ « قيصر سمث »

وقال الآخر بصوت خافت :

ـ « إن قيصر اسم بديع » ثم أفصح وقال : « واسمى بلوارك » وأعقبه قيصر متسائلا :

ـ « من مصنع بنيفرسال للسيارات ؟ ! » فقد كان اسم بلوارك معروفا للجميع ، حتى لصبية الشارع

فقال هذا : ـ « نعم ، وإن لم تعلق أهمية خاصة على وظيفتك الحالية فانى أتقبلك فى محل عملى بكل ارتياح . إننى دائماً فى حاجة إلى شاب له قدرة على العمل فى الوقت المناسب والرجل العملى يجد عندى الطريق مفتوحاً أمامه . »

وأبرقت عينا قيصر وتمتم :

ـ « إذاً فلا أقل من سكرتير ! »

واتجه ببصره نحو شيلا التى كانت تحدق فيه طوال هذه المدة والاعجاب به قد تملكها

واندفع قيصر قائلاً وكأنه قد استقر على أمر

ـ « ليس من طبعى أن أستخلص الحوادث فأستثمرها لنفسى ، ولكن إن كنت حقاً فى حاجة إلىّ فانى أبحث عن وظيفة تمكننى من الزواج . »

ثم أخذ يد شيلا فى يده ، فما تراجعت ولا وهنت ، وكان ذلك أمام سمع « رائد » وبصره الذى تبلبل وانطفأ منذ اللحظة الأولى لتلك الواقعة

وهكذا جاوز قيصر كل تقدير

نقلها عن الانجليزية

ا . ا . ى